💡 الوحدة الثانية : مستويات التدبر

🍃🍂

الدرس الأول : المفاتيح الإيمانية للتدبر .

🌸 سنتحدث عن المستوى الأول : التدبر الإيماني .

التدبر الإيماني الذي ينبغي أن يكون هو مستوى العامة ، مستوى الناس جميعًا .

المقصود به : أن هذا التدبر يوصلك إلى الإيمان ، إلى معايشة القرآن والإيمان به والعمل ، العمل مرتبط بالإيمان (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

🍂 مفاتيح هذا المستوى (ثلاثة) -بشكل مبسط- :

🔺 الأول : معرفة مراد الله عز وجل في الآيات .

مثال : (قل هو الله أحد) ماذا يريد الله؟

أن الله واحد . (واضح جدًا) .

🔹 (إنا أعطيناك الكوثر) ما المراد؟ (ما مراد الله عز وجل؟)

مراد الله عز وجل أن الله أكرم نبيه وسلاّه وعنى به بهذا العطاء الكبير .

مقصد هذه الآية ومقصودها وغرضها ومراد الله عز وجل منها واحد .

🔹 (قل أعوذ برب الفلق)

مراد الله عز وجل بها أن نستعيذ بالله ، أن الاستعاذة لا تكون إلا بالله . هذا المراد .

هذا يعني الحقيقة الأولى التي يفهمها كل إنسان بفطرته السليمة ، وفهمٍ ولسان عربي مع الإيمان .

🔺 المفتاح الثاني : بيان الأثر الإيماني .

يعني هذا المراد ، بماذا يوصلك إلى إيمان؟ أن تستشعر ما في هذا المراد .

مثال : (قل هو الله أحد)

🔹 المراد : إثبات وحدانية الله .

🔹 الاثر الإيماني : أن أستشعر وحدانية الله عز وجل ، وأن أستيقن بذلك وأن أعتقد ذلك ، هذا دين .

إذن هو استشعار قلبي .

🔺 المفتاح الثالث : الأثر العملي .

بمعنى : ماذا يدعوك ذلك؟ أنت فهمت المراد وآمنت فلا بد أن تعمل .

فما العمل في (قل هو الله أحد)

🔹 العمل فيها : أن توحد الله في عبادتك لله عز وجل ، فلا تشرك به شيئًا (عملية) .

🔆 إذن تأمل أننا أخذنا هذه الآية بثلاث خطوات ميسرة :
١ . فهم المراد . ٢ . الأثر الإيماني . ٣ . الأثر العملي .

💡 دعونا نطبق في مثال أخير ، . قول الله (الله الصمد) . .

🚩 المراد : أن الله السيد الذي له السؤدد التام ، أي بمعنى : كمال الله عز وجل وغناه عن خلقه ، وأن الخلق محتاجون إليه .
هذا مراد الآية . مرتبط بالمعنى لكن نريد أن نعبر عنه بالمراد ، ما مراد هذه الآية؟

🚩 نأتي إلى الأثر الإيماني : نستشعر كمال الله .
نستشعر أننا محتاجون إلى ربنا عز وجل في جميع حوائجنا .
نستشعر ذلك ونؤمن ونوقن ثم نعمل .

🚩 الأثر العملي : أننا في كل حوائجنا نتوجه إلى الله .
العملي أيضًا : أن نجعل عملنا كله خالصًا لله عز وجل ، فنتوجه إليه وحده سبحانه .

هذه الخطوات الثلاث أظنها واضحة لكل متدبر في مرحلته الأولى ، وسنُتبع ذلك في حلقات أخرى .

🍃🍂
الدرس الثاني : النظر في فضائل السور والمقاصد وأسباب النزول :

الآن سنتحدث عن المستوى الثاني وهو يتجاوز عن قضية النظر في المراد العام إلى أعمق من ذلك ، ولهذا مفاتيح أسميناها : مفاتيح التدبر الموضوعي :
١ . النظر في فضائل السور وأسماء السور ، ودلالاتها في السور ومعانيها .
اسم السورة له علاقة ظاهرة بمضمون السورة .
مثلاً : سورة الإخلاص سميت بذلك لأنها قد خلصت في وصف الله عز وجل ، ولأنها تحقق للإنسان إخلاصه لله بالتوحيد .
فانظر في العلاقة بين الاسم والمضمون .
أيضًا سورة المعوذتين : في حقيقتهما الاسم هذا ، من مقاصدهما التعوذ بالله عز وجل من السور .
أيضًا فضائل السور : فإنك ترى السور التي وردت فيها فضائل كسورة الفاتحة مثلاً التي هي أعظم سورة من كتاب الله . . لماذا هي أعظم سورة من كتاب الله؟ ولماذا سميت بأم القرآن وأم الكتاب؟ لأنها قد تضمنت مقاصد القرآن كله ، فإذا عرفنا الفضائل عرفنا مضمون السورة ، أو أعاننا ذلك كمفتاح على مضمون هذه السورة .

أيضاً سورة الكهف ، التي شرعت قراءتها في يوم الجمعة ، فإن هذه السورة تدلنا على ارتباطها بمجموعها من حيث ارتكازها على قضية الاعتصام بالله من الفتن ، أو أنها عصمة من الفتن .
هذا المفتاح الأول ، والحقيقة هذا المفتاح يحتاج إلى أن يأخذ الإنسان فيه دربة في العلاقة بين الاسم والمسمى ، وبين الفضيلة والمضمون .

المفتاح الثاني : وهو من أهم المفاتيح في التدبر ، بل إني أعتبره أنه المفتاح الرئيسي وهو النظر إلى المقاصد .
المقاصد -أيها الإخوة- هي أساس في التدبر ؛ لأن الشاطبي رحمه الله تعالى يقول : "إنما التدبر يكون لمن التفت إلى المقاصد" .
المقاصد هي : ماذا يريد الله؟
ولكن أيضًا المقاصد درجات ، منها المقصد العام ، ومنها مقاصد خفية ؛ ولذلك مثلاً مما يؤكد أن هناك مقاصد عميقة في كتاب الله عز وجل في سورة النصر : أن عمر رضي الله عنه كان معه مشايخ بدر في مجلسه وكان معه ابن عباس رضي الله عنهم ، فقال : (ما تقولون في "إذا جاء نصر الله والفتح" فقال بعض الصحابة "وهم أشياخ بدر" : أمرنا إذا نصرنا وفتح علينا أن نحمد الله ونستغفره . قال : كذلك تقول يا ابن عباس؟ قال : لا ، هذا أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه .
إذًا هذا مقصد خفي ، ومقصد دقيق ، فهمه ابن عباس من خلال دلالات السورة . فالمقاصد عظيمة .
المقاصد يمكن أن نقسمها إلى سبعة أنواع في القرآن الكريم :
١ . مقاصد القرآن كله .
من أولها : التعريف بالله عز وجل . منها : تحقيق العبودية لله عز وجل . منها : التذكر ، التذكر باليوم الآخر . - الاعتبار بالقصص والأخبار . - معرفة الأوامر والنواهي والتشريع . - القيم والأخلاق . كما ذكرنا ذلك في غايات وأهداف التدبر .
المقاصد العامة منطلق للتدبر . - الهداية العامة للبشرية .
هذا النوع الأول .
٢ . مقاصد السور .
كل سورة لها مقصد . سورة الفاتحة لها مقصد ، وهو : تحقيق العبودية لله عز وجل (إياك نعبد وإياك نستعين) في أولها التعريف بالمعبود ، وفي نهايتها طريق العبودية الصحيح . إذًا هي في تحقيق العبودية .
- البقرة : مع طولها لها مقصد وهو : الاستجابة لأوامر الله عز وجل ولذلك جاءت فيها قصة بني إسرائيل في تلكئهم عن أوامر الله . حينما قال موسى عليه السلام لقومه : "إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا" فسميت السورة بالبقرة إشارة إلى أن هذه الفئة وهؤلاء القوم تلكؤوا عن أوامر الله ، فلا تكونوا مثلهم ، فهو تحذير لهذه الأمة .
وهكذا كل سورة لها مقصد ، كلما تتبعنا هذه المقاصد وجدناها مفتاحا .
هناك كتب تدلنا على مقاصد السور ، مثل :
- كتاب المختصر في التفسير ، فيه مقصد مختصر .
- كتاب التفسير الموضوعي في مقاصد السور . وعدد من الكتب التي تتعلق بمقاصد السور .

٣ . مقاصد المقاطع والقصص .
كل قصة لها مقصد . قصة موسى تكررت في أكثر من ٩ سور ، في كل موضع لها مقصد .
مثلا : مقصدها في البقرة تعداد النعم .
مقصدها في الأعراف : بيان أحوال بني إسرائيل . وهكذا .

٤ . مقاصد الآيات .
كل آية لها مقصد (يعني ماذا يريد الله في هذه الآية؟) .

٥ . مقصد الجملة .
٦ . مقصد الكلمة .
٧ . بل إن هناك مقصد عجيب (مقصد الحرف)
كيف؟ يعني مثلا : قول الله عز وجل (عينًا يشرب بها عباد الله) ولم يقل الله سبحانه . . عينًا يشرب منها ، فجاء بالباء هنا للدلالة على معنى عظيم ، وهي أنهم يشربون بها ، بمعنى يتلذذون بها ، شرب تلذذ ، وشرب ارتواء . وليس شرب طعام وغذاء . فالحرف له مقصد .
إذًا علم المقاصد علم عظيم في كتاب الله عز وجل لمن أراد أن يدخل بوابة التدبر من خلاله .

أيضا من مفاتيح التدبر هنا (المفاتيح الموضوعية)
٣ . النظر إلى أحوال النزول وأسباب النزول .
أسباب النزول في الحقيقة باب عظيم في فهم كتاب الله عز وجل ، كما قال شيخ الإسلام ابو تيمية رحمه الله تعالى .
دعونا نطبق هذا . . سورة الحجرات ، متى نزلت؟
نزلت في عام الوفود . عام الوفود فيه قبائل جاءت إلى المدينة بعاداتها وأخلاقها فخالطت أهل المدينة ، فكان ذلك سببًا في وجود عادات وأخلاق غير طيبة . منها :
عدم الأدب مع النبي ﷺ "يا محمد اخرج إلينا . سوء الظن . الخلاف . السخرية . إلى غير ذلك .
فجاءت هذه السورة لتعالج هذه العادات وهذه الأخلاق الحادثة .
إذًا سبب النزول له علاقة أو أحوال النزول (أحوال النزول يعني : الملابسات في أحوال ، متى نزلت في أي وقت؟
سبب النزول له دلالة أو ارتباط في التدبر ، فمثلاً : نزول سورة الضحى .
سورة الضحى نزلت بسبب انقطاع الوحي عن النبي ﷺ ، وقول المشركين : ما نرى ربك إلا قد قلاك . فأنزل الله (والضحى) وقت إشراق ، يعني وعد للنبي ﷺ بأن الأمر سيشرق له وأن دينه في إشراق ونصر وتأييد .
فالنظر إلى أسباب النزول مفتاح عظيم من مفاتيح التدبر .
هذه من أبرز المفاتيح .

سنتحدث إن شاء الله في الحلقة القادمة عن المفاتيح الأخرى المتعلقة بالمستوى الثاني وهو (التدبر الموضوعي) .

🍃🍂

الدرس الثالث : النظر في المناسبات والشواهد .

نواصل في الحديث عن مفاتيح التدبر الموضوعي .
هناك مفاتيح أخرى للتدبر الموضوعي في المستوى الثاني ، منها :
- النظر في المناسبات والروابط .
علم المناسبات والروابط علم عظيم ، وهو مدخل عظيم للتدبر ؛ ولهذا يقول الرازي وهو إمام من أئمة الروابط : "أكثر لطائف القرآن مودعة في المناسبات والروابط والترتيبات" .
الروابط : الربط بين هذه الكلمة وهذه الكلمة . والترتيبات : لماذا قدم كذا على كذا؟ لماذا قدم وعيد الكافرين على وعد المؤمنين؟ هكذا ، ترتيب شيء على شيء .
دعونا نتحدث عن هذا المفتاح العظيم بأمثلته :
المناسبات أنواع :
١ . مناسبة السورة للسورة .
ما مناسبة سورة البقرة لآل عمران؟ جاءت البقرة في الاستجابة لأوامر الله ، وجاءت آل عمران في الثبات على دين الله ، بعدالبيان الثبات .
مناسبة الفلق للناس : الفلق في الشرور الظاهرة ، والناس في الشرور الباطنة .
فالمناسبات بين السور علم عظيم ينبغي أن يعتني به المتدبر .
٢ . المناسبة بين اسم السورة ومضمونها .
البقرة ومضمونها : البقرة مضمونها في الاستجابة لأوامر الله تعالى ، والتشريعات ، تشريعات الدين فيها كلها ، فجاءت سورة البقرة لتبين حال بني إسرائيل مع أوامر الله ، تحذيراً لهذه الأمة ، إياكم أن تكونوا مثل أصحاب البقرة في التلكؤ عن أوامر الله ، هذه أوامر الله وهذه تشريعاته .
مثلاً : سورة الضحى ، الضحى تشير بمضمون هذه السورة بتبشير النبي ﷺ بأن الله سبحانه معه ، الضحى وقت إشراق .
- الإخلاص لأن السورة فيها إخلاص لله عز وجل .
لا شك أن مناسبة اسم السورة له علاقة ، كما ذكر البقاعي : "تتبعت سور القرآن فوجدت أن كل اسم سورة دال على مضمونها"
٣ . المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها .
"قد أفلح المؤمنون" "إنه لا يفلح الكافرون" في آخرها . فانظر بين هذا التناسق .

المناسبة بين الافتتاح والختام مثلاً "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" وفي آخرها "آمن الرسول بما أنزل إليه" (أي القرآن) من ربه والمؤمنون" فتحدث عن القرآن أولاً وعن الإيمان به في آخر السورة .
٤ . مناسبة المقطع للمقطع .
ومناسبة الآية للآية .
مناسبة مثلاً قول الله "إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر" تأملوا بعد أن أعطاه الخير الكثير طلب منه الشكر على هذا العطاء بالصلاة التي من أعظم الأعمال والنحر ، لم يقل تصدق أو أنفق . وقال (وانحر) فالنحر عبادة عظيمة توافق وتناسب هذا العطاء العظيم . فإذا أعطاك الله شيئًا عظيمًا وخصّك به فينبغي أن يكون عطاؤك لله كثيراً ، وشكرك لله عظيمًا .
٥ . مناسبة المفردة القرآنية في الكلمة .
يعني (الصمد) مناسبة ورود هذه الكبمة دون غيرها تدل على معان كثيرة .
فهذه المناسبات مفتاح عظيم من مفاتيح التدبر التي تجعلك تغوص مع كتاب الله عز وجل .

أيضًا من المفاتيح المتعلقة بالتدبر الموضوعي :
النظر في شواهد الآية من القرآن والسنة .
يعني : حينما يأتي قول الله عز وجل (اهدنا الصراط المستقيم) نأتي بالآيات التي تدل على الهداية (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) إلى غير ذلك من الآيات التي تؤيد هذا .
- نستحضر الآيات والشواهد الدالة على الصدق (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (ولو صدقوا الله لكن خيراً لهم) .
فنتأمل الآيات كلها ودلالاتها وهداياتها لتدلنا على علم عظيم .
هذه من المفاتيح العظيمة التي ينبغي أن نعتني بها .

الدرس الرابع : النظر إلى الآثار ، واستخلاص القواعد والقيم القرآنية .

ما زلنا مع المستوى الثاني في التدبر ، مفاتيح التدبر الموضوعي ، وتحدثنا فيها عن :
١- النظر إلى فضائل السور ، وأسماء السور وعلاقتها بالتدبر .
٢- ثم النظر إلى المقاصد .
٣- ثم النظر في المناسبات والروابط .
٤- ثم النظر إلى أحوال النزول وأسباب النزول وعلاقتها بالتدبر .
٥- ثم عن شواهد الآيات وجمعها وعلاقتها بالتدبر .

بقي عندنا مفتاحان من المستوى الثاني من التدبر الموضوعي ، وهو :

سادساً : النظر للآثار الإيمانية والواقعية والعملية .
وهذا قد تحدثنا عنه في المستوى الأول . والمستوى الثاني يتضمنه ، فالمستوى الثاني يشتمل على الأول وزيادة ، لكننا في المستوى الثاني نتحدث عن الآثار الإيمانية والواقعية والعملية بشيء من التوسع .
مثلاً : ما المعاني الإيمانية التي نستفيدها من قول الله عز وجل (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون)؟

لو عشنا مع هذه الآية في الآثار الإيمانية لوجدناها كثيرة .
أولاً : الولاء والبراء من الكافرين .
الثاني : إعلان العقيدة .
الثالث : المفاصلة مع الكافرين في العقيدة ، فلا مجال للتداخل معهم .
كل هذه الآثار الإيمانية دلنا عليها التدبر العميق .

كذلك الآثار العملية ، فهنا يمكن أن يجرنا ذلك إلى قضية كيفية التعامل مع الكافرين ، الصراحة في الدين ، إلى قضية ما يتعلق أن يكون المؤمنون على منهج صحيح في العقيدة لا تقارب فيه مع الكافرين ففي عقيدتهم ، وإنما هو مفاصلة تامة .
كل هذه آثار عملية .

هناك آثار واقعية . . ما هي الآثار الواقعية؟ هو أن ننزل الآية على موقف معين أو قصة معينة أو حادثة معينة مشابهة للحادثة التي حصلت في أول نزول القرآن .
حين نتحدث عن سورة الكوثر مثلاً ، واستهزاء الكافرين والمشركين بالنبي ﷺ ، نجد صورة معاصرة في الاستهزاء بالنبي ﷺ ، كما حصل مثلا في الرسوم المسيئة للنبي ﷺ ، كيف نعالج ذلك؟
نأتي بالسورة فنتدبرها في ضوء هذا المشهد ، وتدلنا هذه السورة في معالجة ومواجهة هذه الأذية للنبي ﷺ والإساءة إليه بأن نأخذ منها دروساً . . منها : (إنا أعطيناك الكوثر) نأخذ منها إظهار عظمة النبي ﷺ وصفاته وخصائصه وفضائله ومقامه ، نبرزها . هكذا هدانا القرآن في هذه السورة .
إذًا أخذنا هذه السورة في واقعة معينة وأخذنا الدروس منها . هذه الآثار الواقعية مما يمكن أن يكون من مفاتيح التدبر الواسعة في المستوى الثاني من التدبر الموضوعي .

أخيراً من مفاتيح المستوى الثاني من التدبر الموضوعي :
(سابعًا) : استخلاص السنن والقواعد والقيم .

القرآن قد امتلأ بالسنن والقواعد القرآنية والقيم ، ما الفرق بينها؟

السنن : هي أن يأتي شيء وجزاؤه (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) إذًا هو شيء وجزاء (للذين أحسنوا الحسنى) .
هذه السنن الإلهية سنن ثابتة لا تتغير ، إذا حصل كذا حصل كذا . هذا معنى السنة ، والسنن في القرآن كثيرة ، فما أعظم أن يتدبر الإنسان السنن ويقف معها ويتأملها ويتمثلها!

(إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) فيحسن حتى يجد الإحسان .
(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يتق الله حتى يجد له مخرجا .

🚩 الثاني : القواعد .
القواعد القرآنية هي كلمات كلية جمعت أشياء كثيرة وصور كثيرة .
مثل : (ولا تنسوا الفضل بينكم) هذه قاعدة نطبقها بين الأزواج بين الأصحاب بين الناس ، لا تنسوا الفضل مع الناس .
(خذ العفو) خذ العفو مع كل أحد مع أهلك مع أصحابك مع جيرانك .
(إن الله يأمر بالعدل) خذ العدل ، العدل في كل أمورك .
هذه قواعد كلية ، والقواعد الكلية حقيقة تعطينا منهج في الحياة .

🚩 الثالث : القيم .
القيم هي الأمور التي ركز عليها القرآن وكررها .
مثل : قيمة الثبات نجده في الكهف ، نجده في سورة العنكبوت ، نجده في سورة يوسف ، نجده في سور كثيرة .
- قيمة العدل ، وإن كان قاعدة فهو قيمة ، قيمة العدل وكررها القرآن كثيراً .

فننظر إلى السنن والقواعد والقيم نجد القرآن قد مُلئ بها . والله لو عشنا مع هذا المفتاح فقط لوجدنا في القرآن ما يكفينا في منهج حياتنا .

🔺 هذه المفاتيح المتعلقة بالمستوى الثاني فيما سميناه بـ(التدبر الموضوعي) حري بنا أن نهتم به وأن نعني به في تدبرنا .
ولنا لقاء إن شاء الله في مفاتيح المستوى الثالث الذي هو أعلى مستوى (المستوى العلمي) وهو خاص بالمتخصصين والمتقدمين وطلبة العلم .